**المحاضرة الرابعة:**

**عنوان المحاضرة:من لسانيات الجملة إلى لسانيات الخطاب**

لقد كان للبحوث والدراسات اللسانية والنقدية الحديثة نتائج علمية استلهمها الباحثون من خلال الدرس اللساني الحديث والمعاصر،وقد تجلى ذلك في استفادة الدراسات النقدية الأدبية من مختلف منجزات العلوم اللسانية التي انبثق منها طرحان أساسيان هما:لسانيات الجملة ولسانيات الخطاب،ذلك أنهما شغلا اهتمام الكثير من الدارسين بحيث حاولوا توثيق الصلة العلمية بين اللسانيات والأدب،فحددوا موضوع لسانيات الجملة:"الذي استقى أكثر أسسه ومعارفه من علوم أخرى تتداخل معه تداخلا شديدا،بحيث يمكن أن تشكل أدواته في حرية تامة،ثم تصب نتائج تحليلاته في هذه العلوم" ومن[[1]](#footnote-1) ومن أشهرها العلوم الاجتماعية والإنسانية،مما يعني استثماره للكثير من العلوم اللغوية وغير اللغوية في دراسة الجملة دراسة في ذاتها و من أجل ذاتها، دون تجاوز لها،بمعنى أن الجملة تشكل أكبر وحدة قابلة للوصف اللساني،ذلك أن التحليل اللساني البنيوي اعتمد في مساراته الإجرائية على بنيتين هما:"بنية الكلمة وبنية الجملة"ما يعني في جانب آخر أن لسانيات الجملة لم تر في دراسة الكلام/الخطاب أية أهمية دلالية/دلائلية،و من ثم لا يمكن لهذا العلم دراسته دراسة علمية،لذلك فإننا لم نحصل على مسوغات معرفية/علمية لسانية ومنهجية تأخذ على عاتقها دراسة الكلام أو حتى الإشارة إلى مجاله العلمي.

مع بداية السبعينيات أصبح الحديث عن فرع علمي لساني جديد اصطلح عليه: بلسانيات الخطاب/تحليل الخطاب بحيث ارتبطت مفاهيمه وتصوراته النظرية والإجرائية بالبحث الأدبي وبخاصة في دراسة بنية استعمال اللغة الأدبية في الأعمال الإبداعية وقد تجلت في الدرس اللساني الحديث مع كل من: بلومفيلد/هيلمسليف/جاكبسون/بنفنست /هاريس وغيرهم،من أجل ذلك فقد دعا هؤلاء إلى تخليص لسانيات الجملة من الجمود النظري والآلية الإجرائية الصرفة الشكلية المعتمدة في الدرس اللساني في تلك الفترة وذلك بالدعوة إلى تبني تصور إجرائي مرن/دينامي في عمليات التحليل للكلام يمكنها من فك عزلتها البنيوية الثابتة وهذا من خلال خلق تفاعل مع مختلف الحقول المعرفية الأخرى بحيث لا تبقى حبيسة التحليل الشكلي الصرف للغة بل وأكثر من ذلك أن تدرس مختلف التمفصلات التي تلحق اللغة لحظة استعمالها من خلال تجاوز صريح للجملة واعتبار الكلام/الخطاب:" متتالية جملية تتوافر على شرط التتابع/الانسجام/التماسك/الاتساق"[[2]](#footnote-2)،من أجل أن يتسنى لنا دراسة الخطاب وفق التصور الجديد الذي تبناه المشتغلين في حقل دراسات تحليل الخطاب القائم إجرائيا على دراسة الكيفية التي يستعمل فيها الانسان اللغة من أجل التواصل أو بمعنى آخر كيف ينشئ المرسل رسائل لغوية للمرسل إليه،ثم كيف يشتغل المستمع على هذه الإرساليات اللغوية بقصد تأويلها،مما سيسمح بإبراز قضايا كثيرة تتعلق بمجالات لها صلة مباشرة بحقل لسانيات الخطاب ومن ثم بيان موقعيتها النظرية والإجرائية ضمن مجال دراسات تحليل الخطاب المعاصرة،لذا يمكن التأكيد أنه لا تزال الدراسات اللسانية من المنظور الإجرائي تتراوح بين التشبث بالتحليل اللساني الشكلي الصرف:الذي يدعو إلى:" الوقوف عند الدوال الشكلية الأساس التي تلعب دور المنتج للنص الأدبي"[[3]](#footnote-3) وبين من يدعو إلى نهج المرونة في التحليل كما هو الحال ضمن مجال دراسات تحليل الخطاب وهذا من أجل إحتواء تداولي للغة الخطاب التي تأخذ مشروعيتها من أن:" النص بوصفه صناعة كلام ولكن بوصفه انتاجا لخطاب هو خطابه"[[4]](#footnote-4) ومن ثم توسيع مختلف مجالاته النظرية والإجرائية،ذلك أن فلسفة العصر تعتبر أن اللغة بوصفها خطاب بامتياز وهذا للأهمية التواصلية/الدلالية/الدلائلية التي يكتسيها الخطاب والتي حظيت بها الدراسات في مجال تحليل الخطاب،لذلك فقد تبنت بعض المنهجيات اللسانية مقولات إجرائية لتحليل الخطاب استقتها من مدارس لسانية حديثة كالـ:التوزيعية/التوليدية/الوظيفية وغيرها من المنهجيات اللسانية التي تبناها بعض البحاثة في مجال دراسات تحليل الخطاب.

1/الإتجاه التوزيعي في تحليل الخطاب:

لقد ارتبط التحليل الألسني التوزيعي بالنزعة السلوكية التي تزعمها-ليونارد بلومفيلد-والتي راجت تصوراتها في الولايات المتحدة الأمريكية عام1920وحددت موضوعها في دراسة السلوكات اللغوية عبر المعادلة السلوكية"المثير والإستجابة"بالإضافة إلى أن هذا الإتجاه تعلق بأصول الدرس اللساني السوسيري في مجال دراسة اللغة،وهو ما تلتقي فيه المنهجية التوزيعية مع المنهجيات التي تبناها أصحاب المدرسة الفرنسية في مجال تحليل الخطاب، إلا أنها تختلف عنها من جهة النشأة والمنهج،فقد نشأت التوزيعية بعيدا عن المنوال الجامعي الأوروبي واعتمدت وصف اللهجات الأمريكية الهندية التي لم تعرف بعد ولم توصف،ولقد انطلقت النظرية اللسانية التوزيعية من مسلمة هي:"أن الفروق بين البشر محكومة بالبيئة التي يعيشون فيها وأن كل سلوك لغوي هو ردفعل"[[5]](#footnote-5)لذلك فإن الكلام يعد شكلا من السلوك الفردي،ذلك أن المتكلم يرسل أصواتا تكون على شكل"منبه"يفترض استجابة من السامع"ردة فعل"وعليه فالبحث اللساني السلوكي اللغوي ينظر إلى هذه العلاقة-صوت-منبه-استجابة-من منطلقين:العلاقة الأولى التي تحتوي على الكتلة الصوتية المتعاقبة،والعلاقة الثانية التي تتمثل في المنبه والذي يستدعي استجابة،وعلى هذا الأساس فقد تجلت منهجية المدرسة التوزيعية في تحليل الخطاب من خلال :"ملاحظة السلوك اللغوي وما يحمله من مؤثرات،ثم الإحاطة بالمدونة الكلامية التي تمثل مجموع الجمل المنجزة ضمن حلقة التبليغ،ليتم توزيعها إلى وحدات تخضع إلى مسار الوصف اللساني"[[6]](#footnote-6) مع تجاوز مطلق لمسار المعنى إلا في حالة تماثله مع العبارات،أي تجاوز المعطى الدلالي والسياقي غير اللغوي المكون لمعنى العبارات من خلال التركيز على مسارات الشكل اللغوي.

وضمن التوجه اللساني التوزيعي،يجمع البحاثة والدارسون على ريادة"زليق هاريس"في مجال دراسات تحليل الخطاب من خلال دراسته الرائدة الموسومة بـ:تحليل الخطاب"1952،بحيث سعى إلى إبعاد كل اعتبار دلالي من مسار الوصف اللساني ضمن مسارات التحليل التوزيعي وذلك من أجل إبراز بنية استعمال اللغة عبر مختلف أصواتها التي تتميز عن بعضها البعض لا من خلال وظيفتها التركيبية المتموقعة عبر السياقات المختلفة ولذلك أصبحت هذه الرؤية الإجرائية التوزيعية من أهم منهجيات تحليل الخطاب التي تمثلها"هاريس"من خلال توسيع مسارالوصف اللساني إلى ما هو خارج الجملة-مسار لساني-...ثم النظر في مسار العلاقات الحاصلة بين اللغة والثقافة والمجتمع-مسار خارج لساني-كل هذا جعله يحد الخطاب إجرائيا بقوله:"ملفوظ طويل،أو هو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر،بواسطة المنهجية التوزيعية"[[7]](#footnote-7) بمعنى أنه تمثل في تحليله دراسة الوحدات اللسانية-الجمل- بوصفها وحدات تعبيرية ممكنة-عبارة-وفي لغة معينة،ذلك أنها تتوافرعلى القابلية التعبيرية ليتحقق فيها فعل التواصل/الدلالة/التداول عبر السلاسل الجملية المنسجمة فيما بينها والمنجزة خطابا،لهذه الاعتبارات وغيرها فإن تحليل الخطاب وفق هذا التصور يسعى للبحث عن المقاييس التي تؤطر الوحدات التعبيرية وكيفية بنائها باعتبارها سلاسل جملية أو متتاليات جملية لجمل ملفوظة فهي تشكل وفق تصوره مؤسسة لشبكات من التكافؤبين جمل وجمل متتالية مما يعني وفقه أن التحليل:"يقف عند حدود تقديم الخطاب كمتتالية من مركبات إسمية وفعلية ذات علاقات معينة"[[8]](#footnote-8)منتجة لدلالات عبر تمفصل اللغة في الخطاب.

ومما سبق يمكن التأكيد على أن التصور التوزيعي الذي تبناه هؤلاء ضمن دراسات تحليل الخطاب قد أعطى نتائج نظرية وإجرائية بحيث توسعت دائرة البحث من مجال البحث اللساني إلى مجال البحث اللساني للخطاب،أي من تجاوز تحليل الجملة إلى تحليل الجمل-الخطاب- يكون"هاريس" قد فتح مسارا إجرائيا جديدا في دراسة الكلام دراسة لسانية تداولية قائمة على دراسة بنية استعماله في اللغة وبآليات لسانية ذات طبيعة مرنة تأخذ بعين الاعتبار درجات الممارسة التلفظية للخطاب.

**2/الإتجاه التوليدي في تحليل الخطاب:**

تعد المساهمات التي قدمتها المدرسة التوليدية التي تزعمها"نوام تشومسكي"في مجال دراسات تحليل الخطاب بالقيمة وذات طبيعة نقدية بنيوية قائمة على إطارنظري/إجرائي جديدين يعتمد على دراسة البنية التركيبية للغة الخطاب دون العودة إلى اللغة النظام،من منطلق أن اللسانيات البنيوية لم تأخذ بعد حقها المشروع فيما يسمى بالدراسة العلمية للسان،ولكي تتحقق هذه العملية ركزوا على دراسة البنية اللغوية التي تمكن من استعمال قواعد محددة لتوليد عدد لا متناه من الجمل مما جعل-تشومسكي-يعتبر أن البنيوية:"لا تميز بين المناهج التحليلية وبين موضوعها"[[9]](#footnote-9)مما يعني في جانب آخر أنها لم تتعدد مسار الوصف من خلال تحليل الوحدات المكونة للغة من غير أن تتجاوز ذلك إلى المركب التركيبي الذي يعمل على صياغة هذا التحليل وفق أشكال وقواعد مرتبة،كل هذا جعله يعيب على المدرسة التوزيعية في دراستها لمدونات ثابتة،ذلك أنها في الأصل متناهية الجمل والفرد في حقيقة الأمر يمتلك قدرة كبيرة في انتاج جمل لا متناهية العدد لم يسمعها ولم ينطق بها من قبل ضمن سياقات خطابية متعددة ومختلفة.

وبناء على هذا التصور فقد تبنى التوليديون:أنموذجا للتفكير في اللغة،أفرز مجموعة من الإشكلات ضمنها الاهتمام بسلوكهم الفعلي"[[10]](#footnote-10) من اجل ذلك فقد تحول مجال البحث اللغوي عند هؤلاء قائم على ثلاثة مكونات هي:النحوي والدلالي والصرفي مما يشير إلى أن التحليل التوليدي للغة الخطاب يركز أكثر على المستويات القصوى للجمل ولقواعدها البنائية ،بحيث أنه ومن خلال القواعد النحوية/الصرفية/الدلالية للغة الكلام يمكن توليد ععد لا متناهي من الجمل المفيدة-البناء الصحيح-وأما قواعد التحويل فإنها تحصل من خلال تحويل الأبنية العميقة إلى أبنية بسيطة أو أنها تفسر ما يحدث على السطح من عمليات تواصلية/دلالية ولعل من أهم القواعد التي نعتمد عليها في مسار التوليد:الحذف/الاختصار/الزيادة/التقديم/التأخير وغيرها،وعلى هذا الأساس فقد لاحظ-تشومسكي-تقاربات بين بعض خصائص البنيات التركيبية للكلام وكذا للطريقة-الخطاب- التي يصوغ بها المتكلم دلالة الجمل ومن خلال هذه الفرضية الإجرائية تولدت قضية إتمام المظهر التركيبي او ما اصطلح عليه:التركيبة الدلالية"

ومما سبق يمكن التأكيد على أن التوليدين ركزوا في دراستهم للغة الخطاب على دراسة مستويات الجملة من أجل إيجاد القواعد التي تنبني عليها اللغة عند المتكلم وهذا بالنظر إلى قدرة المتكلم على اللغة لاعلى ما يملك منها.

**3/الإتجاه الوظيفي في تحليل الخطاب:**

تعد المساهمات التي قدمها-إميل بنفنست-ضمن الاتجاه الوظيفي وبخاصة في دراسات تحليل الخطاب قيمة بحيث عالج مشكلة تحليل الخطاب معالجة لسانية تواصلية معتبرا الجملة:أصغر وحدة في الخطاب ...كما أنها تحمل علامات وليس علامة واحدة ...وهكذا يمكن أن ندخل إلى مجال آخر حيث اللسان أداة للتواصل نعبر عنه بواسطة الخطاب"[[11]](#footnote-11)ذلك أن اللغة بحسب رائد هذا الاتجاه-مارتيني-:هي أداة إبلاغ ثنائية التقطيع يقابلها تنظيم مخصوص لمعطيات التجربة"[[12]](#footnote-12)ومن ثم وجب الاهتمام بكل من اللسان واللغة وبخاصة في حالة استعمالها من أجل ذلك أشار-بنفنست-إلى أننا سنكون ضمن مجالين يختلف أحدهما عن الأخر وحتى وإن كانا يتقطعان ضمن مسار الاستعمال اللغوي اللساني فهناك:"من جهة تجلي اللسان ضمن عمليات التواصل،ومن جهة أخرى تغدو الجملة منتمية إلى الخطاب،فتصبح تمثل وحدة للخطاب"[[13]](#footnote-13) التي تحمل حسبه قيمة تلفظية والتي لم تنل هي الأخرى اهتماما كبيرا من طرف الباحثين،فـ-هاريس-وقف عند حد "الملفوظ"الذي اعتبره:كل جزء من الكلام يقوم به المتكلم،وقبل هذا الجزء وبعده يوجد صمت من قبل هذا المتكلم"[[14]](#footnote-14) ;ويتوازى هذا المفهوم مع مفهوم الجملة باعتبارها من الكلام بحيث تتم به الفائدة كما أنه مستقل عن بقية العناصر المتجاورة له ، وبالمقابل فإن-بنفنست-وقف عند حد"التلفظ"الذي أضحى يشكل ضمن دراسات تحليل الخطاب موضوعا حيويا ومقولة مفتاحية في مجال لسانيات الخطاب إنه على حد قول-بنفسنت-:"وضع اللغة في حركة بمقتضى فعل الاستعمال"[[15]](#footnote-15)فوفق هذه الحركية ينجر عنها آداء فعلي للغة باعتبارها تمثل طاقة مخزونة في ذهن الذات بحيث تتحول بآدائها وفق التلفظ إلى:كلام/نص/خطاب/ملفوظ،لذلك فإن التلفظ متعلق بمسارات انتاج الكلام والذي نقصد به"الفعل الحيوي"ينتجه المتلفظ على شكل نص منغلق أي له بداية ونهاية،كما أنه مستقل عن ذات المتلفظ بعدما تم انجازه،مما يصبح هذا النص متناظرا مع الملفوظ الذي يصبح متعلقا باللغة المكتوبة،في حين أن التلفظ متعلق باللغة المنطوقة،لذا فإن المسارالشكلي للتلفظ يعد عنصرا من عناصر تكوين لغة الخطاب،هذا ما جعل-بنفنست-يراهن في عملية تحليل الخطاب على مركز "الفاعل المتلفظ"في عملية إنجازه للخطاب.

ضمن سياق هذا التصور اللساني الوظيفي فقد ميز-بنفنست-بين الجملة كوحدة لسانية صغرى والملفوظ كوحدة متكاملة دلاليا في لغة الخطاب،ذلك أن:"الجملة لا تشكل في صلب ملفوظ أكبر سوى وحدة صغرى للخطاب،ومع الجملة بوصفها نظاما من الأدلة،سنلج عالما آخر هو اللغة بوصفها أداة التخاطب،والتي تتجلى في الخطاب"[[16]](#footnote-16)وعلى هذا الأساس يمكن التأكيد على أن الملفوظ أكبر من الجملة التي تبقى تشكل وحدة صغرى تتجاوز مع بقية الوحدات الأخرى لتشكل صلب الخطاب،هذا بالإضافة إلى إشارته لمسارين إجرائيين في دراسة الخطاب:-اعتبار اللغة نظاما من الأدلة-اعتبار لغة الخطاب نظاما من الأدلة والرموز،وبهذا يكون-بنفنست-قد أسهم في إدخال دراسات تحليل الخطاب ضمن مجال الدراسات الألسنية الراهنة،ذلك أنه وسع من نطاق موضوع اللسانيات ولا سيما في دراستها للتلفظ الذي أصبح يشكل مقولة مفتاحية في دراسات تحليل الخطاب من وجهة التحليل اللساني الوظيفي.

1. سعيد حسين البحيري.علم لغة النص.الشركة المصرية للنشر.ط1.مصر.1997.ص:2 [↑](#footnote-ref-1)
2. ينظر:سارة ميلز.الخطاب.ص:7 [↑](#footnote-ref-2)
3. مجموعة من المؤلفين.في أصول الخطاب النقدي الجديد.ترجمة:أحمد المدني.عيون المقالات.ط2.المغرب.1989.ص:5 [↑](#footnote-ref-3)
4. نفسه.ص:6 [↑](#footnote-ref-4)
5. ميلكا افتيش.اتجاهات البحث اللساني.المجلس الأعلى للثقافة.ط2.دمشق.2000.ص:278 [↑](#footnote-ref-5)
6. ينظر:سعيد يقطين.تحليل الخطاب الروائي.المركز الثقافي العربي.ط4.المغرب.2005.ص:16 [↑](#footnote-ref-6)
7. نفسه.ص:17 [↑](#footnote-ref-7)
8. نفسه.ص:18 [↑](#footnote-ref-8)
9. ينظر:صالح بلعيد.نظرية النظم.دار هومة.الجزائر.2001.ص:79 [↑](#footnote-ref-9)
10. عبد القادر الفاسي الفهري.اللسانيات واللغة العربية.دار عويدات.لبان.1986.ص:65 [↑](#footnote-ref-10)
11. ينظر:السعيد يقطين .تحليل الخطاب الروائي.صك18 [↑](#footnote-ref-11)
12. ميشال زكريا.الألسنية.-علم اللغة الحديث-ص:255 [↑](#footnote-ref-12)
13. ينظر:سعيد يقطين،تحليل الخطاب الروائي.ص:18 [↑](#footnote-ref-13)
14. نفسه.ص:17 [↑](#footnote-ref-14)
15. كاترين فوك.مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة ترجمة: المنصف عاشور.د.م.ج.ط1.الجزائر.1984.ص:134. [↑](#footnote-ref-15)
16. ينظر:محمد يحياتن.مفهوم الأصالة من وجهة نظر تحليل الخطاب.منشورات جامعة الجزائر.ع.14الجزائر.ص:336. [↑](#footnote-ref-16)